رأي القدس

العراق: تأكيد جديد على الحرب الطائفية

■ اكدت التفجيرات الثلاثة التي استهدفت مساجد للشيعة في بغداد، واسفرت عن خمسة وسبعين قتيلا ومئات الجرحى، اندلاع الحرب الاهلية الطائفية في العراق رغم محاولات النفي المتكررة من المسؤولين العراقيين والامريكان.

هذه التفجيرات التي تستهدف الابرياء، تعتبر قمة الارهاب، وتتساوى في هذا الامر مع هجمات مماثلة استهدفت مساجد سنية نفذتها ميليشيات وقوات امن تابعة للحكومة الحالية.

الحكومة العراقية الحالية تتحمل مسؤولية انزلاق البلاد الى هذا المنزلق الارهابي الخطير، لانها حكومة طائفية استندت الى الميليشيات، وتصرفت بعقلية انتقامية، وتبنت سياسة تقسيم العراق على اسس طائفية بحتة.

المواطن العراقي البريء، بغض النظر عن هويته الطائفية، اصبح هو الضحية الابرز للنخبة السياسية التي جاءت الى العراق من الخارج لتبرير الاحتلال، والتعاون مع الولايات المتحدة في مشاريعها للهيمنة على النفط العراقي وخدمة المصالح الاسرائيلية.

فهذا المواطن تحمل البطالة وانقطاع الكهرباء المزمن، ونقص امدادات الماء وانهيار القطاعات الصحية والتعليمية، والوقوف لساعات امام محطات البنزين لملء خزان سيارته، ولكنه لم يعد قادرا على تحمل هذا الفلتان الامني المتفاقم الذي بات يهدد حياته.

ومن اللافت ان السياسيين العراقيين الذين يتحصنون في قلاع آمنة في المنطقة الخضراء المحمية امريكيا، لا يعيرون اي اهتمام لهموم المواطن العراقي، بل يعملون بتصرفاتهم الطائفية غير المسؤولة على اذكاء نار الحرب الطائفية، واقفال الابواب امام اي امل بالمصالحة، وانتقال البلاد الى بر الامان.

فبعد اربعة اشهر من الانتخابات العامة ما زال هؤلاء عاجزين عن تشكيل حكومة، وتوزيع المناصب الاساسية في رئاسة الوزراء ورئاسة الدولة والبرلمان، لانهم يقدمون مصالحهم الذاتية الضيقة على مصالح العراق وشعبه.

القوات الامريكية عندما غزت العراق واحتلته، واتت بهؤلاء من الخارج، وعدت الشعب العراقي بالرخاء والاستقرار والديمقراطية والحريات، ولكن بعد ثلاث سنوات من سقوط بغداد، جاءت النتائج مختلفة تماما، واصبح العراق فريسة للعنف والارهاب والسيارات المفخخة، والقصف الامريكي التدميري للمدن، ومارست الحكومة العراقية، ووزارة داخليتها بالذات، كل الممارسات التي اتهمت النظام السابق بارتكابها، مثل التعذيب والقتل على الهوية، والقاء الجثث في الشوارع وفي النهر، واقامة مقابر جماعية بصفة يومية لدفن ضحايا تصفياتها لخصومها من ابناء الطوائف الاخرى.

الدكتور حارث الضاري رئيس هيئة علماء المسلمين اعلن ان اربعين الفا من ابناء السنة قتلوا في زمن الحكومة الحالية، وهو رقم يثير الرعب في حد ذاته، فاذا افترضنا ان الهجمات التي نفذتها الجماعات المتطرفة مثل جماعة الزرقاوي، قد حصدت ارواح ما يوازي هذا الرقم من الشيعة ايضا في هجمات ارهابية مماثلة، فان علينا ان نتوقع شكل «العراق الجديد» الذي بشر به الامريكان، وحكام العراق الحاليون، عندما دخلوا العاصمة العراقية فاتحين محررين.

الانسان العراقي، وبغض النظر عن طائفته او عرقه، يدفع ثمنا غاليا من دمه وماله وعرضه، للاكاذيب الامريكية التي صدقها وهو في حال من اليأس بسبب الحصار الظالم الذي كان مفروضا عليه، واعتقد ان الاحتلال سيشكل مخرجا له من معاناته الشديدة، فجاءت النتائج عكسية تماما.

حكام العراق الحاليون يتحملون مسؤولية مقتل مئات الآلاف من العراقيين الابرياء، سواء كانوا ضحايا الارهاب الطائفي، او القصف الامريكي، ولذلك يجب ان يحاكموا امام محاكم الشعب على جرائمهم هذه في حق بلدهم وشعبهم.

مصر: هل غدت مهمة الحاكم الانغماس في ادارة الفساد؟

محمد عبدالحكم دياب *

■ من خصائص «الفكر الجديد»، الذي ليس فيه جديد، ويتبناه «الرئيس الموازي»، جمال مبارك، هو منظومة القيم والأفكار التي تزكي نهب المال العام واغتصاب الحكم واحتكار الثروة وامتلاك النفوذ، ومنها ما يتعلق بالمسؤولية عن الفساد الذي يعم البلاد، ويغطي جسد الدولة من رأسها إلى اخمص قدميها، بتحميل المسؤولية للشعب. ولاحظت ذلك في تعليق واحد من رجال جمال مبارك في برنامج فضائي تناول ظاهرة الفساد في مصر، وبحثا في تفسير رفع الحصانة عن صاحب العبارة الغارقة، التي أودت بحياة أكثر من ألف مسافر، بعد هروبه. والسماح بسماع أقوال رئيس مجلس إدارة «الأهرام» السابق، فيما هو منسوب إليه من فساد واستغلال نفوذ، وتبديد مئات الملايين من الجنيهات المصرية.. تم الرد على قدَم وعمومية الفساد وانتشاره، وتحوله إلى منظومة تتحكم في مفاصل المجتمع وعصبه الحيوي، وارتباط ذلك بإدارة نظام الحكم للفساد وتأكيده وترسيخه، وفي مواجهة عرض الوقائع والأمثلة تم القول بأن هذا الكلام غير محدد، والمشكلة الحقيقية ليست في فساد الحكم إنما في فساد الشعب!!.

ومثل هذا الكلام فضلا عن أنه غير مسؤول، هو محاولة للتغطية على الفساد، وما ترتب عليه من جرائم وفضائح يتابعها الناس على كل المستويات.. ولن نقول بأن ذلك المنطق مغرض، ونكتفي بالاستغراب من هذه الجرأة الزائدة على الحقائق والوقائع، ومن هذا المستوى من عمى البصر والبصيرة لمنتسبي أمانة السياسات، وموالي «الرئيس الموازي»، وهذا يؤكد أن هذه اللغة ليست إلا تعبيرا عن وصول الفساد إلى مدى لا يريد فيه المفسدون ستر عوراتهم، يتركونها عارية مفضوحة، ويلومون الشعب بدلا من إصلاح ذواتهم. ولم يبق أمامهم إلا التخلص من الشعب وتغييره ونفيه من البلاد، عقابا له على فساده المزعوم!! وبهذا حولوا القاعدة التي تقول «الناس على دين ملوكهم» إلى أخرى مخالفة تزعم أن «الحكام على دين شعوبهم»!!.. منطق معيب ومريض، إلا أنه يساعد على فهم لغة التعامل مع الشعب. فحسني مبارك يتكلم إلى الناس وكأنهم عالة عليه، وكثيرا ما «عايرهم» بفقرهم وتناسلهم، ومَنّ عليهم، وهو يقنعهم بقبول الفساد، لأنه، حسب رأيه، موجود في كل مكان، وكأن لسان حاله يقول: إن وجود الفساد يمنح رخصا بممارسته، دون خجل أو حرج. وهذه اللغة التي تتذرع بالفساد لتأخذ به، هي عكس كل الاتجاهات والسياسات في النظم التي تعمل من أجل مصلحة شعوبها، فتضع محاربة الفساد على رأس أولوياتها.

وهنا يظهر الفارق بين حاكم يقود نظاما مهمته مواجهة الفساد ومعالجة مسبباته وتغيير البيئة المساعدة عليه والمشجعة له، وآخر يقبل به، وينغمس فيه، ويجعل منه منظومة تحقق له وللدوائر القريبة منه أقصى المكاسب والمنافع والنفوذ، الأول حاكم مسؤول يقدر معنى المسؤولية، والثاني غير مسؤول، يضع المصلحة الذاتية فوق المصلحة العامة، وحسني مبارك يتحدث إلى المصريين بمنطق ولي النعم، من الأباطرة وملوك العصور الوسطى في تعاملهم مع الأقنان والعبيد، فهو عندما يتحدث اليهم يقول «حأوكلكم منين» أي من أين آتي لكم بالطعام والمؤن!! أو «السنة دي سودا والسنة الجاية أسود منها».. أي أن هذه السنة سوداء والقادمة أكثر سوادا!!، وكأن المصريين شعب من العجزة والمعوقين والأرامل وذوي العاهات، غير القادرين على العمل والكسب. وبسبب ذلك يتحمل حسني مبارك ما فوق طاقته، ليوفر لهم الطعام، هذا بينما أموال هذا الشعب المغتصبة هي مصدر المتعة والبهجة التي ينعم بها، وجعلت منه أحد أغنى حكام العالم، ومن أولاده أكبر رجال مال وأعمال في المنطقة العربية، ولأن هاجس «التكويش» هو المسيطر، فلا حسني مبارك ولا عائلته يستشعرون أن هذا المنطق يقلل من قدرهم. فهم يبدون كمن يدير ملجأ للأيتام، أو دارا للعجزة والمسنين. ليسوا متصرفين في شؤون مجتمع، به إمكانيات وقدرات لو وظفت بالشكل السليم لكان لمصر شأن آخر.

وإدارة حسني مبارك، هي بالضبط، كما وصفها سعد الدين إبراهيم، في واحد من مقالاته هي «إدارة الفساد وليست فساد الإدارة». لكن كيف تطورت إدارة الفساد هذه حتى وصلت إلى ما وصلت إليه؟.. هذا له علاقة بالدور المتنامي لـ«النجل». فكلما ازداد سلطة وصلاحية كلما ازداد الفساد استفحالا، فإلى نهاية وزارة كمال الجنزوري كان حسني مبارك يعتمد في حكمه على تحالف يتشكل من فنيين وإداريين ورجال أمن، وبزيادة نفوذ «النجل»، الذي بدأ مع وزارة عاطف عبيد، وتوليه المسؤولية كاملة بدءا من وزارة أحمد نظيف الأولى وحتى الآن، تراجع ذلك التحالف وحلت محله «جماعة» محدودة الوزن والتأثير، تستمد قوتها من العمل في خدمة «عائلة مبارك».. تجمع محتكرين ورجال مال وأعمال ووكلاء شركات أمريكية وخدم «الكويز»، كان التحالف الأول، بكل عيوبه، يتحسب لرد فعل الشارع، فكان يتأنى في تنفيذ برامج «الإصلاح الاقتصادي»، الموضوعة من قبل المصرف الدولي وصندوق النقد الدولي.. تعامل بقدر من المسؤولية والانضباط، وكان ذلك واضحا في وزارات عاطف صدقي وكمال الجنزوري. وكان حسني مبارك يستمع لرأيهم أحيانا قبل أن يتوقف عن سماع النصيحة اكتفاء بآراء ونظريات «فلاسفة الفكر الجديد»، الذين أغنوه عن الاستماع أو قراءة التقارير والصحف.. كانت إجراءات من سبقوهم تتم في بطء مطلوب، وبعضها يؤجل حتى تواتي الفرصة، ومنذ أن حلت هذه «الجماعة»، جاء في ركبها النحس والشؤم، وبدأ الناس يحصدون حصيلة جهل هؤلاء المطبق بأحوال الناس واحتياجاتهم ومتطلباتهم.. وحينما يسيطر «فقه التعالم والادعاء»، ويصبح بديلا عن العلم والمعرفة والخبرة والكفاءة والقدوة، وعندما يجد هذا الفقه من يعمل له، من أكاديميين وباحثين، يقبلون الخدمة في بلاط «النجل» نجد أن الواقع السياسي يشهد سفورا وجرأة بالغة على تحدي الرأي العام، وتجاهل الحقائق والشواهد، ونتابع هذه الجرأة في الاندفاع المشبوه لبيع ما تبقى من ملكية عامة وتبديدها بثمن بخس، دون تقدير للعاقبة، ووضع البلد على شفير الإفلاس.

شاعت قيم اللصوصية، وأصبحت ضابطة وحاكمة لتصرفات المسؤولين وإجراءاتهم وقراراتهم. ومن بينها ما يشاع عن مواصفات شاغلي الوظائف الكبرى والمناصب العليا، فيقولون ان «النجل» يرى الأفضلية في اختيار لص غني لشغل الوظيفة أو المنصب عن النزيه «المستور». فاللص الغني «عينه الميانة»، كما يدعون، والغريب أن بعض من عامة الناس يقبل بهذا المنطق. ويقر بأن اللصوصية المقترنة بالغنى أفيد لتقلد المناصب. أين تعلموا هذه القيم؟ ألم يسأل أحد نفسه هل اللص يشبع أو يقنع؟ قيمة شاعت بين أوساط النخبة الحاكمة، وأضحت تمثل «الظهير الأيديولوجي» الذي يرتكز عليه «الرئيس الموازي»، للتخلص من الكفاءات والخبرات، التي قد تكشف خواءه، وتحول بينه وبين «التوريث». وهناك أكذوبة لا تقل خطرا عن هذه القيمة، ومروجوها من مثقفين وطنيين ويساريين.. يربطون الفساد بما أطلقوا عليه «النظام السياسي» لثورة يوليو، وكأن هذا النظام ما زال قائما يحكم مصر.

ينشأ اللبس، أحيانا، من الخلط بين مدلول الدولة ومعنى النظام السياسي، فعبد الناصر لم يقم دولة، فوجود الدولة سابق على عصره بمراحل، إنما أقام نظاما. وقارئ التاريخ الموضوعي يعرف أن الثورة أرادت أن تستمر بالنظام الليبرالي القديم، لكن هشاشته دفعها لتغييره، كانت تهدف إلى بناء نظام يعيد للدولة قوتها ودورها ومسؤوليتها تجاه مواطنيها. بعد أن ثبت لها أن الاعتماد على النظام القديم لا يفي بمتطلبات التنمية، ولا يحقق التقدم المنشود على جبهة القضاء على ثالوث الجهل والفقر والمرض، وهو ثالوث يعيده حسني مبارك مرة أخرى. لم يكن في مقدور النظام السابق رفع مستوى المعيشة، ولا تحمل أعباء التحرير ولا المواجهة مع الاستعمار، ولا تلبية شروط الحفاظ على الاستقلال الوطني، أو السعي نحو القوة بتحقيق الوحدة العربية. ونظام عبد الناصر، الموضوع في قفص الاتهام من قبل هؤلاء، كان قصير العمر للغاية، لم يتعد عمره العشر سنوات. فبعد مشوار «التجربة والخطأ»، حتى عام 1960، وتحت وطأة جريمة الانفصال 1961، أقام عبد الناصر نظاما جديدا معتمدا على التخطيط المركزي، وتحالف شعبي عريض، يتوجه نحو الفقراء. و«أصحاب المصلحة في الثورة»، وتمكن ذلك النظام من توظيف الدولة وحشدها لإنجاز مشروعات التنمية والإنتاج والخدمات المتوسطة والكبرى، وترك للقطاع الخاص ملكية الأرض الزراعية والاستثمار في الإسكان المتوسط والفاخر، وملكية وإدارة منافذ الاستهلاك والتوزيع والخدمات والورش وتجارة التجزئة.

وماذا تبقى من هكذا نظام لنقول عنه انه مشكلة مصر؟ أين هذا النظام الآن؟.. لم يكن في نظام عبد الناصر، ملمح حقيقي للاستبداد أو الفساد أو التبعية، كل هذا لم يكن ليستقيم مع أيديولوجية انحازت بالكامل للشعب والأمة، وهذا على النقيض من أيديولوجية تستلهم أفكارها وخطواتها، وتنتظر الضوء الأخضر من واشنطن أو لندن أو تل أبيب، واتخذت من الفساد أساسا للحكم. ومنذ أن تخلى الوالد لـ«النجل» عن صلاحياته ومسؤولياته.. صارت المخالفات القانونية والعمل ضد الدستور وسيلة السيطرة على كل شيء.. وبالمناسبة، فإن الدستور الحالي وضعه السادات سنة 1971.. أسس به لنظام آخر مناقض لنظام الثورة.. ونظام عبد الناصر لم يكن فاسدا، وإن شابته تجاوزات.. كان الرجل عصيا على الإفساد، وكان نظامه في خدمة الشعب والأمة، عكس نظام يتفانى في خدمة أعداء الشعب والأمة. ويقبل العمل في البلاط الأمريكي الغربي الصهيوني، يمارس البلطجة ويحمي الفاسدين والمفسدين بالحصانتين البرلمانية والرئاسية، وأمام هذا لا يملك الإنسان إلا أن يقول ما قال العالم المصري الأمريكي المعروف رشدي سعيد «أنا لدي شعور أن هناك خطة ممولة لجعل مصر بلدا «معالا»... بلد يعيش على المعونات، عملية تدمير القوى الإنتاجية لمصر مخططة، عملية تصحير مصر حتى يمكن تطويعها... وجعلها تحت الأيدي دائما، هذا يمنحها وهذا يمنعها مخططة، وإلا فسروا لي ما حدث في الـ30 عاما، ماذا يعني ما حدث إلا تدمير مصر». جاء ذلك في تعليق له على تقرير التنمية البشرية، أثناء حديثه إلى الصحفية نور الهدى زكي. المنشور بصحيفة «المصري اليوم» في 11/3/2006 والتخلص من هذا الفساد لا يتحقق إلا بإزاحة رعاته وحماته وعزلهم ومحاسبتهم.

* كاتب من مصر يقيم في لندن

العراق: امريكا تمسح الذاكرة الحضارية والتاريخية والثقافية

هيفاء زنكنة *

■ في الايام الاولى للغزو، سار العسكري الامريكي متوجها نحو مدينة الناصرية جنوب العراق. على مبعدة 16 كيلومترا من جنوب غرب المدينة، وقف قريبا من آثار أور، أشهر مدن العراق القديم، مدينة القبور الملكية وما تحويه من أنفس الاثار السومرية كالقيثارات وادوات منزلية مصنوعة من الفضة والذهب. نظر الى الزقورة بجلالها وهيبتها، اقدم ما يمثل البنايات العجيبة للمعابد في العصر الشبيه بالكتابي، التي تميزت بها حضارة وادي الرافدين، شيدها الملك اور ـ نمو الذي دام حكمه 18 عاما عام 2111 ق.م. نظر الغازي حوله مهموما، مكتئبا لمرآى ما يجهله. وحين سأله احد الصحافيين المرافقين للفرقة العسكرية عن رأيه بالعراق، أجاب باصقا كلماته بغضب شديد : «تبا له. بلد حقير، قاحل... لايشبه امريكا، بلا مراكز للتسوق... تصور، لقد سرنا أياما ولم نشاهد مطعم ماكدونالد واحدا فيه»، ثم أشار بيده الى الزقورة باحتقار، قائلا: «منذ ايام ونحن لانرى غير هذه الخرائب!»

أقرأ كلماته فأستعير صوت جلجامش لاواسي أنكيدو في لحظات حزنه: "لماذا اغرورقت عيناك بالدموع يا صديقي؟ ولم ملأ الأسى لبك وصرت تصعد الزفرات». وأنادي مع السياب حزنا ياعراق ياعراق، ومع الجواهري يا دجلة الخير، ومع طه باقر وعلماء آثارنا الكبار لاقول آه يا بلاد العشرة الاف موقع أثري، كيف تطأك اقدام الغزاة. في الوقت نفسه، افهم جيدا سبب غضب الغازي واكتئابه. اذ يخشى البرابرة الحضارة ورموزها. انها شفرة الشعوب السرية في حماية نفسها. لايفهمونها. يرون فيها خطرا يهدد كيانهم واستيطانهم. فما علاقة العسكري الامريكي بالاثار وما علاقة المحتل بالحضارة والتاريخ؟ انها بالنسبة اليه شيئان. اما سلعة يحاول شراءها أو ان لم يستطع شراءها وامتلاكها فلن يفكر بشيء غير الرغبة بتدميرها ومحوها.

في العراق المحتل، حولت قوات الغزو، مدينة بابل الى معسكر أمريكي. بذلك احتل الغزاة العراق مرتين. لان بابل، أشهر اسم في العالمين القديم والحديث، عنوان حضارة وادي الرافدين، هي العراق. اسوارها وجنائنها من عجائب الدنيا السبع. حولوا شوارع أكبر مدن الدنيا القديمة الى ممشى للدبابات والمصفحات. شارع الموكب الملكي فيها، احتله الصهاينة لينتقموا من انتصار نبوخذ نصر (604 ـ 562 ق.م) عليهم، وليسيطروا على ما وصفه النبي الاسرائيلي أرميا «كأس ذهب بيد الرب جعل الارض سكرى». بوابة اللهة عشتار حولوها الى بوابة لانطلاق اسلحة الهجوم على اهلنا. اثار القصور الملكية والبروج والجسور والمعابد اهتزت تحت فيالق الغزاة. فثار العالم وعلماء الاثار مطالبين منددين متضرعين بكل ذي ضمير حي من اجل حماية المدينة الاقدم، ونجحوا في اغلاق المعسكر.

انتقل الغزاة بعد ذلك الى مدينة سامراء، الى سر من رأى، عاصمة المعتصم الواقعة على مبعدة 125 كيلومترا شمال بغداد، ليحولوا الملوية، منارة المسجد العظيم، رائعة الفن المعماري الاسلامي، المبنية عام 847 م، الى مرصد للقناصة. ثم شرعوا بناء سور حول المدينة هدد أساس المناطق الاثرية التي يمر بها. وغادروا الملوية منذ عام بالضبط بعد ان ضربتها القنابل، وها هم قد عادوا لاحتلالها منذ أسابيع. كما قامت قوات الاحتلال، بالتعاون مع مستخدميها، أخيرا، بغارات جوية مكثفة وقصف اربع قرى تقع بين سامراء والدور، وهو طريق يمر على طول الموقع الاثري باستثناء الكيلومترات الخمسة الاخيرة.

وقد حذر العديد من علماء الاثار من ان قصف القرى سيؤدي حتما الى زعزعة اساس المواقع الاثرية وتخريبها.

وبعد ان نهبت مئات المواقع الاثرية المتروكة بلا حماية او حراسة بل صارت مرتعا للصوص وسارقي الاثار والمهربين وبعد ان هدمت المتاحف ونهبت القطع الاثرية النادرة وتم بيع الكثير منها بارخص الاسعار في المزادات الامريكية والاوروبية، ها هي قوات الاحتلال تحول مدينة كيش الاثرية الواقعة في الشمال الشرقي من مدينة الحلة الى معسكر للتدريب. لينطلق التحذير حتى من قبل وزارة الثقافة الافتراضية حيث منعت قوات الاحتلال الاقتراب او الدخول الى الموقع للتحقيق في مدى الاضرار التي لحقت به.

ومدينة كيش هي واحدة من اقدم المدن السامية في جنوب العراق، ومن المراكز الحضارية المهمة التي كشفت التنقيبات فيها عن بقايا عصر فجر السلالات. يتألف الموقع الاثري فيها من مجموعة من الاطلال تسمى تل الاحيمر (تصغير احمر).. يقول الاستاذ طه باقر، عالم الاثار العراقي الكبير، في كتابه «مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة : الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين»، وهو المرجع الذي استند اليه في كل ما اورده عن الاثار، ان ما تم الكشف عنه في مدينة كيش يضيف اشياء مهمة الى معرفتنا بحضارة وادي الرافدين ولاسيما في عصر فجر السلالات.

ويشاهد في كيش بقايا برجين مدرجين اي زقورتين شيدتا بالطين المستوى ـ المحدب. وقد شيد كل منهما فوق مصطبة كبيرة مزينة الاوجه بالطلعات والدخلات. وان هاتين الزقورتين على قدر عظيم من الاهمية لانهما اقدم نماذج للزقورات من عصر فجر السلالات. وعثر في كيش كذلك على مجموعات من دور السكن وهي ذات اهمية خاصة. ووجدت في الشوارع او الازقة الفاصلة آثار ترسبات من فيضان او طوفان ولعلها الترسبات الطوفانية من بقايا الطوفان المذكور في اثبات الملوك السومرية وفي ملحمة جلجامش. وفيها مجموعة من القبور. ومقبرة وجد فيها اجزاء من عربات ويمكن نعتها بالقبور الملكية وهي اقدم من مقبرة اور الشهيرة وان كانت لاتضاهيها بالكنوز.

يرى المؤرخ المعروف اومستد ان اول استعمال لكلمة عراق ورد في العهد الكشي منتصف الالف الثاني قبل الميلاد..في وثيقة تاريخية ترقى في تاريخها الى حدود القرن الثاني عشر ق.م وجاء فيها اسم اقليم على هيئة أريقا الذي صار الاصل العربي لبلاد بابل.

وان سلالة كيش الاولى هي اول سلالة حكمت من بعد الطوفان. في عصرها بدأ العصر التاريخي الصحيح حيث بدأ سكان وادي الرافدين يدونون بالكتابة المسمارية شؤون حياتهم، كما بدأت المدونات التاريخية الرسمية بالظهور وتميزت بالتطور العمراني والمدني وظهور الحياة السياسية على هيئة دول مدن.

من بين الاثار المادية المميزة الاختام الاسطوانية التي تتميز بالنقوش والمواضيع الاسطورية والاحتفالات والولائم وتجذيف القوارب وصور فسرت على انها تمثل الزواج الالهي او المقدس. وتميزت بالتعدين، وكان المعدن الشائع البرونز والفضة والذهب. واشتهر فيها فن النحت البارز (الريليف) والمجسم، ونحت دمى الحجر الصغيرة التي كانت تستخدم على هيئة تعاويذ وقلائد.

احرز فن العمارة تقدما كبيرا خاصة في ابنية المعابد والقصور التي وجدت نماذج لابأس بها نذكر منها القصر الفخم المكتشف في كيش ومن المرجح انه شيد في الطور الثاني من عصر فجر السلالات. وقد استطاع ملكها الاكدي سرجون الاول، حوالي ثلاثة الاف عام ق.م، من توحيد دويلات المدن السومرية وتاسيس اول امبراطورية سامية في العراق واتخذ اكد عاصمة له.

هذا باختصار شديد تاريخ مدينة كيش، وهو تاريخ لا يقل اهمية عن تاريخ معسكري بابل وأور. كما انه مماثل لبقايا مدينة سبار، التي هاجمتها قوات الاحتلال في الاسابيع الاخيرة. وتعرف آثارمدينة سبار، وهي من مدن بلاد أكد، باسم تل ابو حبه، وهي على بعد نحو 20 ميلا جنوب غربي بغداد. واشتهرت بكونها احدى مراكز عبادة الاله الشمس (شمش)، حيث معبده المسمى أي ـ ببار الذي عبدت فيه معه زوجته المسماة آي.

ان تحويل المواقع الاثرية العراقية، مهد الحضارة البشرية، ومعلما من معالم حضارتنا وتاريخنا الى معسكرات تنطلق منها آلات القتل والتدمير الموجهة ضدنا، هي عملية اغتيال منظمة ومزدوجة. فعلى المستوى الاول، انها عملية اغتيال وتصفية جسدية لاهلنا وعقولنا وهذا ما يتم يوميا الآن في العراق. وعلى المستوى الثاني، انها عملية تهديم ومسح لذاكرتنا الحضارية والتاريخية والثقافية. انها عملية اغتيال منظمة لهويتنا الرافضة للاحتلال بكل اشكاله. انها عملية تهدف الى مسح قصصنا، تراثنا، ثقافتنا، اساطيرنا ومدننا العريقة وكل ما يذكر العالم بوجود العراق. وهي تهدف بالدرجة الاولى الى فصل الانسان وعزله عن عناصر كينونته ليفقد موقع قدميه، تسجن مخيلته، ليسهل تحويله من انسان الى سلعة باحثة عن سلعة.

* كاتبة من العراق
www.haifazangana@yahoo.co.uk

نسيان مقديشو وتذكر بغداد

د. عبدالوهاب الافندي

(1)

تتواتر الانباء هذه الايام عن بوادر مجاعة تهدد اجزاء واسعة من الصومال اضافة الى اجزاء من كينيا (يسكن بعضها صوماليون ايضا). ولم تلق النداءات التي وجهتها منظمات الامم المتحدة وهيئات الاغاثة الاجابة الكافية، لدرجة ان الامم المتحدة اعادت اصدار ندائها، وهي تلح وتستغيث لبضع عشرات من ملايين الدولارات لايصال الغذاء الضروري وحتى الماء لمن يتهددهم الهلاك.

(2)

معروف ان الرئيس بوش الأب كان قد وعد عندما تدخلت قواته في الصومال نهاية عام 1992 بأن يجعل من الصومال نموذجا لمحاسن «التدخل الانساني» في حقبة ما بعد الحرب الباردة. وقد تدخلت القوات الامريكية هناك بهدف فرض السلام ولتمكين ايصال الاغاثة للسكان الذين كانت تتهددهم المجاعة بسبب الحرب. وقد حقق التدخل الامريكي نجاحا محدودا في هذا الجانب، ولكنه خلق مشاكل وصدامات دفعت بادارة كلينتون الى الانسحاب المستعجل من الصومال عام 1993 على ما هو معروف.

(3)

بالمقابل فان الولايات المتحدة تتدخل بقوة في العراق، وتصرف عشرات المليارات من الدولارات هناك وفي افغانستان، اضافة الى ما يصرفه حلفاؤها الاخرون، وقد ضغطت على المؤسسات الدولية وعلى حلفائها لتقديم معونات كبيرة للعراق واعفاء الديون عليه.

(3)

العراق لا يحتاج الى معونات امريكية ولم يكن في حاجة الى تدخلها، بينما الصومال ودول اخرى تحتاج الى المعونات والدعم، وربما التدخل. ولو كان معشار ما تصرفه الدول الغنية في دول مثل العراق لم تكن تحتاج لا الى غزوها ولا الى صدقاتها، لو كان معشار ما صرف هناك صرف في الصومال لاستعاد ذلك البلد عافيته ولما عدنا نسمع كل يوم اخبار مجاعاته وقراصنته وحروبه.

(4)

تدخل الولايات المتحدة في الصومال كان وثيق الصلة بتدخلها في العراق، فقد اتهم الكثيرون بان دوافعها للتدخل في العراق كانت الاستيلاء على منابع النفط، وان تحرير الكويت لم يكن سوى ذريعة، ولهذا اراد بوش للتدخل في الصومال ان يكون عملية «علاقات عامة» لتحسين صورة الولايات المتحدة في العالم واظهارها بمظهر من يتصرف بدوافع انسانية في منطقة فقيرة تفتقد الاهمية الاستراتيجية.

(5)

عملية الصومال التي سميت «عملية اعادة الأمل» اثبتت العكس تماما كما ظهر من سرعة انسحاب القوات من هناك بعد تعرضها لهجمات قليلة، واهم من ذلك اثبتت عجزا سياسيا فاضحا، حيث فشلت اكبر دولة في العالم في اقامة علاقات طيبة مع شعب زعمت انها جاءت لانقاذه من المجاعة والحرب والفوضى.

(6)

من الواضح ان دوافع التدخل في الكوارث الانسانية وتقديم الدعم للشعوب المحتاجة هي دوافع مصلحية في المقام الاول. وقد اصبح انشغال واشنطن بالتهديدات الاستراتيجية المتمثلة في الخطر الارهابي المحرك الأول لسياساتها بحيث اصبح كل غال يرتخص في سبيل مكافحة هذا الخطر. ولكن يبدو ان هذه السياسة تعتبر تشجيعا غير مباشر على الارهاب.

(7)

لعل كثيرا من الصوماليين يتحسرون على رفضهم استضافة انصار بن لادن حينما حاول بعضهم الالتجاء الى بلادهم في التسعينات، وربما لو فعلوا لكان بعض ما ينفق من المليارات في افغانستان وغيرها ينفق في بلادهم اليوم.

(8)

يتساءل البعض عن اسباب تزايد الارهاب والاقبال عليه. ونحن نتساءل عن تساؤل المتسائلين.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت
وتوزع في جميع انحاء العالم

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف: 5337920 فاكس: 5337928 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) **Fax:** 0208-741 8902 / 748 7637
email: ***alquds@alquds.co.uk*** * *Internet:* ***www.alquds.co.uk***
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel: (9626) 5337920 **Fax:** 5337928
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN